مسلمون ومسيحيون معاً والى الأبد

بقلم الأستاذ صليبا جبرا طويل/ بيت لحم

الشعوب الشرقية وبخاصة العربية منها تعرف بشدة تدينها وقوة عاطفتها، فالحديث عن عظمة الدين والدفاع عنه يحتل مرتبة عالية في المجتمع. النقاش أو الجدل له حساسية خاصة عند اتباع الديانات السماوية وخاصة الإسلامية والمسيحية. ففي بعض الأحيان قد يصيب أو يخطئ من يحاول الحديث في هذا الموضوع ويمكن أن نشبهه كمن يسير فوق نصل السيف، أن زلق تقطع من حده. كما يمكن أن نشبهه أيضاً كحديقة فيحاء يتناسق جمالها وروعتها، رائحتها ومياهها مما يليق فيه حسن العيش والتعايش والانسجام. فالإيمان عند الشعوب الشرقية موجود في عقولها، أفئدتها، ودمائها ويخترق عظامها أيضاً.

المزالق التي يمكن أن يقع فيها الإنسان ليس مصدرها الدين، بل المطامع والمصالح والجهل، أو الشعور بالاضطهاد غير المبرر في بعض الأحيان. والمأساة تكمن عندما يعتلي البعض موجة الإلمام الضيقة. ويفسرون الدين حسب أهوائهم وفق مصالحهم الذاتية وخلق وقائع لا إنسانية تترجم إلى عنف وقتل وتشريد.

الشعور بالأمن والامان يعني صدق الإخاء والانتماء الديني والاجتماعي الوطني، مما يعني المحافظة على الآخر دون اعتداء جسدي أو معنوي. أمن وأمان الفرد هما الحلقة الرئيسية في العلاقات الإنسانية بين أبناء المجتمع، بقدر ما تكون هذه المعادلة بسيطة وسهلة التحقيق بنفس القدر يمكن أن تكون معضلة معقدة ينجذب فيها أطراف المجتمع في تعدده السياسي والديني إلى التشابك دون الوصول إلى هدف واضح أو نتيجة سليمة مما يسفر عنها أمور لا تحمد عقباه، ومجهول لا يعرف مصيره سوى الله تعالى.

أن يقتل الناس، تباد الشعوب، تحترق دور عبادتهم وتدمر مدنهم بأسم الله فهذه جريمة بحق الله، بحق كتبه السماوية وبحق الإنسانية، أن أي مجتمع في العالم يكون متعدد التيارات الفكرية، السياسية، العقائدية، في لحظة ما أن يجهد تأزم خلافات شخصية بين أفرادها، تصل طابع التعدي والعنف، فأن كانت القضية بين أفراد ضعاف النفوس، فأنها ترددي في بعض الأحيان ثوب طائفياً، قبلياً أو حزبياً، لكن ذلك لا ينفي وجود ميول عند البعض إلى تأكيد عنصرية العمل، يتم ذلك بشكل فردي وليس بشكل منظم أو سياسة تطهير عرقي ومع ذلك نقول عنها ظاهرة ليست خطيرة، لأن الانحرافات موجودة في كل المجتمعات البشرية، لكن العمل على تكريسها والانجرار ورائها يعني تفت المجتمع وتصدع العلاقات بين أفراده مما يولد وينمي شعور بالاضطهاد. وبالتالي البحث عن مجتمع أمن مما يعني تفريغ من التنوع الإنساني وخلق بدائل جديدة كالرحيل أو الهجرة.

ليس هناك دين خطير، إنما هناك اتباع خطرون ذوو نفوس مريضة تحمل في قلوبها وعقولها حقداً وكراهية لكل من ليس من ابتاعها، أن كان الله واحد بحسب إيماننا، فان كل ما خلقه الله في هذا الكون صالحاً لخلقه أجمعين.

أبشع أنواع الأسلحة أكثرها فتكاً هو تأجيج الطائفية بين أبناء الوطن الواحد وأخص هنا التجربة الفلسطينية، التي راهن

وما زال يراهن عليها الاحتلال الإسرائيلي محاولاً إذكائها كي يقتتل الأشقاء الفلسطينيون مسيحيون ومسلمون مستفيداً منها ومؤكداً للعالم أجمع أن الإسلام هو دين إرهاب ، والمأساة والظلم الواقعين على المسيحيين لا يمكن احتماله والصبر عليه. إسرائيل تسعى إلى حماية المسيحيين الفلسطينيون!! أتساءل؟ لماذا يتناسى الساسة الإسرائيلي والتسامح الإسلامي الذي عاشه وما زال يعيشه المسيحيون والمسلمون منذ أكثر من أربعة عشر قرناً؟ وبالرغم من انجرار بعض الأفراد لعواطفهم ولهمس إسرائيل المتواصل ثبت لهذه الفئات الخارجة عن الجسم الفلسطيني الواحد فشل المحاولة الإسرائيلية، كما ثبت للعالم اجمع أن الشعب الفلسطيني لا يقبل القسمة على أثنين.

تطلعاتنا ومصيرنا واحد وهو إقامة الدولة الفلسطينية بعاصمتها القدس الشريف التي تظم بين أسوارها كنيسة القيامة والمسجد الأقصى المبارك. وأن نعيش شعباً واحداً بدفئ عائلة واحدة.

في فلسطين مسيحيين كنا أو مسلمين، عشنا سوياً الطفولة وأيام الدراسة والزيارات العائلية... تربينا نشئنا ونهلنا من الحضارة العربية كل ما تتضمنه من عناصر إسلامية ومسيحية. قاومنا كل محتل غاصب وعلى مدى قرون طويلة. أبينا إلا أن نتقاسم العيش المشترك في السراء والضراء. اقتلعنا الفئوية الضيقة من جذورها وامنا أن الله واحد والوطن للجميع. سيطرت الغيرة علينا في عمل الخير ولم يحسد بعضنا بعضاً. كما وما زلنا عائلة واحدة نتعامل بإنسانية دون المساس من قريب أو بعيد بعقيدة الآخر، حافظنا على شرف وشعور كل فرد منا حتى في احلك الليالي السوداء. لم تتمكن آلات العسكرية الإسرائيلية من قهرنا و هزم معنوياتنا، كما لم نسمح لها أيضا من إشعال الفتنة بيننا.

العرب، مسلمون ومسيحيون، في أي قطر كانوا تربطهم الأصول، الانتماء، اللغة، المصير،العادات، القرابة، التقاليد والمعاملات اليومية القائمة على الاحترام المتبادل والتعامل مع الاختلافات على أسس إنسانية محضة صادرة من أعماق النفس العربية الأصيلة، ليس ادعاء آو مواربة أو تزيفاً ولكنه بصراحة حقيقة وواقع نعتاشه يومياً. فأن كان للغرب مطامع وغايات سياسية نفعية للعالم العربي أو الإسلامي، فهذا لا يعني أن الغرب يحمل لواء النصرانية. ينبغي ويجب أن لا يفسر أيضا أن أي اعتداء من قبل أي فئة إسلامية اعتداء موجه إلى المسيحيين والمسلمين، لأن الدين من كل أولئك براء.

فالمسلم العربي أقرب إلى من المسيحي الأوروبي أو الأمريكي لكون أبناء وطن واحد. كذلك أيضا يجب أن يكون المسيحي العربي قريباً من أخيه المسلم العربي. وأن اختلفت العقائد والتفسيرات الدينية واللاهوتية فلن نختلف في حقنا بالعيش سوياً كأبناء الله.

علينا أن يرى كل منا الآخر من خلال عين الآخر وفكره، يعني أن أفهم الإسلام والمسلمين من خلال القران الكريم، والمسيحية والمسيحيين من خلال الإنجيل .

الصحوة في عالم العربي موجودة، واستمرار تنشيطها مسعى ومطلب لنتذكر أن التعاليم الدينية جاءت من أجل ترتيب وتنظيم العلاقات الإنسانية والاجتماعية والدينية بين البشر، وترسيخها على أسس إلهية سليمة تحفظ الكرامة لا لتداس، والعدالة لا لتنتقص، والمحيه لا الكراهية. بن الدين وإدعاء التدين يكمن شيطان رهيب عجيب يدعي المعرفة والحكمة وخفايا الأمور بينما في داخله يتربص الشر والدمار. فالدين يمكن أن يكون سلاح سلام أو سلاح حرب. وأن أسيء استغلاله يكون عار على الإنسانية وتجديف على الله. عند وقوع الشعوب في نكبات يأخذ بعضها بمد وجزر الدين، عسى أن يكون ملجئها للإيمان خلاصها من كل ما يحاك بها من مؤامرات،نكبات أو اضطهادات فالإنسان السوي الصادق ألامين المحب لله وخلقه عله أن يظهر ا]مانه في السراء والضراء في مرضه وعافيته وفي كل حين.

المسلمون والمسيحيون معاً مدعون إلى نشر رسالة الحق والعد والإسلام والتسامح بين أفراد وشعوب العالم اجمع لان الله واهب الحياة يطلب منا ذلك في كتبه السماوية.

ويل للشعوب أن وقعت في دوامة الفتن، وتقتل بعضها البعض،فلن تستطيع الاتفاقيات والعهود والوثائق من منع الأحقاد ولا حتى الكتب السماوية تمكننا من إيقافها لان عيوننا وآذاننا تكون بعيدة عن كل ما هو الهي.